﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧﴾ [الجاثية: 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

مع ظهور البيِّنات والدَّلائل لا يقع الاختلاف المذموم إلّا بسبب البغي

هذه الآيةُ معطوفةٌ على الآية السّابقة، وهي مِن ذِكر إتمام النِّعم على بني إسرائيل، فذَكَر ههنا نعمةً عظيمةً أخرى بإعطائِهم دلائل ظاهرةً في أمر دينهم بحيثُ لا يكون معها الاختلاف إلّا بسبب البغي بينهم، فقال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ الآيةَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡأَمۡرِۖ﴾: أصلُ (أمر) يدلُّ على الأمر مِن الأُمورِ[1]، يُقالُ: أمرُ فلانٍ مستقيمٌ وأُمورُه مستقيمةٌ، والأَمْرُ: الحادِثةُ، والجمعُ أُمورٌ، لا يُكَسَّرُ على غير ذلك[2]، والمراد بالأمْرِ في الآية: الشَّأنُ والحالُ، أي: آتاهم اللّه دلائل واضحات في أمر الدِّين، ويندرج فيها معجزات موسى عليه السلام[3].

2) ﴿بَغۡيَۢا﴾: أصلُ (بغي) يدلُّ على جِنْسٍ من الفسادِ، ومنه قولهُم: بَغى الجُرْحُ؛ إذا ترامى إلى فساد، ثمَّ يُشتَقُّ من هذا ما بعده، وقيل: البَغْيُ أصله الحَسَدُ، ثمَّ سُمِّيَ الظُّلْمُ بغيًا؛ لأنَّ الحاسِدَ يَظْلِمُ المحسودَ جُهْدَه إراغةَ زوالِ نِعمةِ اللّه عليه عنه[4]، والبَغْيُ: التَّعَدِّي، وبَغى الرَّجلُ عَلَينا بَغيًا: عَدَل عَنِ الحَقِّ، واستَطالَ[5]، والباغي:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمر).
(2) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (أمر).
(3) المراغي، تفسير القرآن: 25/ 149، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 345.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (بغي).
(5) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (بغي).

الظّالم[1]، والبغي في الآية معناه الظُّلمُ، وهو ظُلمُ الحَسَدِ، فإنَّ الحَسَدَ من أعظم الظُّلم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا يَنبغي أن يَغتَرَّ المُبطِلُ بنِعَمِ الدُّنيا، فإنَّه سيَرى في الآخِرةِ ما يَسوؤُه

يخبر الله تعالى عن ما تفضَّل به على بني إسرائيل، فقد آتاهم ما لم يُؤتِ غيرَهم، وآتاهم آياتٍ واضِحاتٍ، فما تفرَّقَ بنو إسرائيلَ، واختَلَفوا فيما بيْنَهم إلّا مِن بَعدِ ما جاءهم العِلمُ الَّذي يُبَيِّنُ لهم ما يَتَّقونَ، ويوجبُ عدَمَ الاختِلافِ، وإنَّما حمَلهم على ذلك الظُّلْمُ واعتداءُ بعضِهم على بعضٍ، والحسدُ وطلبُ الرِّياسةِ، ثمَّ يُخاطِبُ تعالى نَبيَّه ﷺ قائِلًا له: إنَّ رَبَّك - أيُّها الرَّسول - سيفصل بينهم يوم القيامة بحكمه العدل فيما كانوا فيه يتنازعون، ويتفرَّقون من أمر الدِّين، وسينال كلٌّ ما يستحقُّه من الجزاء، وفي هذا تحذير لأُمَّة محمَّد ﷺ أن تسلك مَسْلكهم، وتنهج منهجهم لئلّا يصيبها ما أصابهم، وما سيُصيبهم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الوصل في الآية:

جاءت جملة: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ معطوفةً بالواو على ﴿ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ لاشتراكِهما في كونِهما جملتين فعليَّتين خبريَّتين وفي الجهة الجامعة، أي: في الامتنان على بني إسرائيل بعظيم النِّعم بأن آتاهم الله بيِّناتٍ من الأمر بحيث لا ينبغي أن يختلفوا بعدها.

عودُ الضَّمير في ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾:

يعود الضَّمير في ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾ على ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بما اتَّصفوا به،

(1) الخليل، العين: (بغي).
(2) المراغي، تفسير القرآن: 25/ 149، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 346.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 84، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 267، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 776، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9/ 282.

أي: وآتينا بني إسرائيل الموصوفين بإيتائِهم الكتاب والحكم والنُّبوَّة بيِّناتٍ من الأمر، فأفاد عود الضَّمير اجتماع المنن العظيمة بحيثُ يكمِّل بعضُها بعضًا، فكأنَّه قيل: وآتيناهم مع ذلك بيِّناتٍ من الأمر.

نكتةُ التَّعبير بلفظ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾:

إتيانُ الكتاب والحكم والنُّبوَّة إنَّما يكمل بمعرفة الحجج الواضحة

عبَّر بلفظ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾؛ للإشعار بكمال النِّعم، فإنَّ إتيان الكتاب والحُكم والنُّبوَّة إنَّما يكمل بإعطائِهم البيِّنات؛ لأنَّ البيِّنات هي الأدلَّة الظّاهرة والحجج الواضحة، والمراد بإتيانِهم البيِّنات إتيانهم الحجج وطريقة إقامتِها والاحتجاج بها، فإنَّ إقامة البيِّنات على ما في الكتاب والحكم من شأنِها أن تقوِّي الحقَّ، وتجعل الآخرين يذعنون إلى ما عندهم من الحقِّ والهدى، فضلًا عن أنَّها لا تترك للشَّكِّ والخطأِ إلى نفوسِهم سُبُلًا إلّا سدَّتها.

دلالةُ تنكير ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾:

لفظُ البيِّنات يشمل الحججَ الظّاهرة والأحكام والمعجزات وصفات الأنبياء الآتين بعدهم

جاء لفظ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ نكرةً؛ لبيان فخامة البيِّنات وتعظيمِها وتكثيرها، ولمّا جاء لفظ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ في سياق الامتنان؛ أفاد عموم البيِّنات الَّتي يحتاجونها في فهْمِ الكتاب وإفهامِه وفي إقامة الحكم وغيرها، فيدخل في البيِّناتِ الأدلَّةُ القطعيَّة والحجج الظّاهرة والبراهين القاطعة والأحكام، ويندرج فيها المعجزات وصفات الأنبياء الآتين بعدهم وغير ذلك ممّا هو في غاية الوضوح.

دلالة جمع ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾:

جاء لفظ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ بصيغة الجمع؛ لبيان تنوُّعها وكثرتِها في أفرادِها، فهي بيِّنات كثيرة في أفرادها متنوِّعة في أصنافِها.

فائدة ﴿مِّنَ﴾:

يمكن أن تكون ﴿مِّنَ﴾ في قولِه: ﴿بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ ابتدائيَّة، وهو الأصل في معناها، ويمكن أن تكون بمعنى: في، والتَّقدير: بيِّنات في

الأمر[1]، أي: دلائل ظاهرة في أمرِ الدّين متغلغلة فيه، بمعنى: لايوجد شيءٌ من أمرِ دينهم إلّا وفيه بيِّنة واضحة، ونكتة العدول عن (في) إلى ﴿مِّنَ﴾ الإشعار بأنَّ ما أوتوه من الكتاب والحكمة والنُّبوَّة مشتمل على بيّنات واضحة، فآتاهم البيِّنات مع اشتمال ما تقدَّم عليها، كما أنَّ هذه البيِّنات هي أدلَّة في الأمرِ، وتحتمل أن تكون ﴿مِّنَ﴾ بيانيَّة؛ لتفيد بيانَ المقصود بالبيِّنات، أي: بيِّنات هي من أمر دينهم الموحى به إلى أنبيائِهم.

في العدول عن (في) إلى (مِن) تكثير في المعنى وتنبيه إلى تغلغل البيِّنات في جميع أمور الدِّين

فائدة (ال) في ﴿ٱلۡأَمۡرِ﴾:

تحتمل (الـ) في ﴿ٱلۡأَمۡرِ﴾ أن تكون للعهد، أي: الأمر الَّذي هو دينهم، كما تحتمل أن تكون عوضًا عن المضاف إليه، أي: بيِّنات من أمر الله، فيشمل أمر الدِّين وأمر الدُّنيا ممّا يحتاجونه في الحكم وأمور الحياة، فـ﴿ٱلۡأَمۡرِ﴾ هنا من الأمور بمعنى الشَّأن العظيم.

(الأمرِ) هنا من الأمور بمعنى الشَّأن العظيم

فائدة الفاء في ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾ للتَّفريع والتَّرتيب[2]، ويمكن أن تكون فصيحة، والتَّقدير: فاختلفوا، وما اختلفوا إلّا من بعد ما جاءَهم العلمُ بغيًا بينهم، فحذف المفرَّع؛ لِدَلالَةِ ما بَعدَهُ عليهِ عَلى طَريقَةِ الإيجازِ، وذكر ما يدعو إلى العجب من أمرِهم؛ إذِ المَقصودُ هو التَّعجيبُ مِن حالِهِم كَيفَ ترتَّب اختلافُهم على تمكُّنهم في العلم وتوالي النِّعم المذكورة؟ فاختلفوا حينَ لا مظنَّةَ للاختلافِ[3]، فكان الظّاهر أنَّهم لمّا آتاهم الله البيِّنات أن يتَّفقوا، ولا يختلفوا، فبدلًا من أن يكونَ حالُهم بأن يقال عنهم: وآتيناهم بيِّنات من الأمر، فاتَّفقوا من بعدِ ما جاءهم العلم - لأنَّ البيِّنات تزيح كلَّ خلافٍ - كان حالُهم هو أن ترتَّب على إتيانهم

التَّعجيب من حالِ بني إسرائيل إذ اختَلفوا حينَ لا مظنَّةَ للاختِلافِ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 107، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 425، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 346.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 346.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 346.

البيِّنات وحصول العلم عندهم اختلافُهم بغيًا بينهم؛ لتفيد الفاء مع التَّفريعِ التَّرتيب الدّاعي للتَّعجيبِ من حالِهم بأن كانَ مآلُ أمرِهم بعد حصولِ العلم وقوع الاختلاف بينهم، كما أنَّه لمّا كانت الفاء للتَّعقيب؛ أفادت أنَّه لم يكن بين إتيانهم البيِّنات واختلافِهم مهلة، بل سارعوا إلى الاختلاف، وتعقيب كلِّ شيءٍ بما يليق به؛ ليفيد التَّعقيبُ زيادةً في التَّعجيب من اختلافِهم مع ظهور البيِّنات وتوبيخهم على مبادرتِهم إلى الاختلاف بينهم.

دلالةُ الاستثناء المفرَّغ:

لمّا اختلف بنو إسرائيل في أمر الدّين بغيًا كان كأنَّهم اختلفوا في كلِّ شيءٍ

لمّا كان الظّاهر أن يكون الكلام: فما اختلفوا في الأمر إلّا من بعد ما جاءَهم العلم؛ كان حذف متعلِّق الفعل ﴿ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾ مؤذنًا بالعموم، ولهذا جاء الاستثناء مفرَّغًا في قوله: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾؛ ليفيد الكلامُ الاستثناءَ من أعمِّ العام ومن جميع الأوقات، أي: فما اختلفوا في وقت من الأوقات إلّا من بعد ما جاءَهم العلم بغيًا بينهم، وليدلَّ حذف متعلِّق الفعل على أنَّهم اختلفوا في كلِّ شيءٍ، أي: لم يختلفوا في الأمر الذي أوتوا البيِّنات منه فقط، أو يقال: إنَّهم لمّا اختلفوا في أمر الدّين؛ كان كأنَّهم اختلفوا في كلِّ شيءٍ.

بلاغةُ القصر:

حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف والاتِّفاق على المعلوم

أفادَ القصر بـ(ما) و﴿إِلَّا﴾ في قولِه: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ قصر اختلافِهم على وقتٍ معيَّن هو من بعد مجيء العلم إليهم، وهو من قبيل قصر الصِّفة على الموصوف؛ ليفيد أنَّ ذمَّهم على هذا الاختلاف هو كونه مقصورًا على هذا الوقت دون غيرِه، بمعنى: أنَّهم لو اختلفوا قبلَ مجيء العلم إليهم؛ لكانَ لهم عذرٌ في الاختلاف[1]، والغرض منه ذمُّهم على اختلافِهم في ذلك الوقت، والتَّعجيبُ من هذه الحالةِ؛ لأنَّ حصولَ العلم يوجب ارتفاع الخلاف

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 346.

والاتِّفاق على المعلوم، وههُنا صار مجيء العلم سببًا لحصول الاختلاف، فكان ما هو سبب الاتِّفاق سببًا لهم في الاختلاف، فجعلوا ما يوجبُ زوالَ الخلافِ، وهو مجيء العلم موجبًا لرسوخِه[1]، بمعنى: أنَّ العلم لم ينفعهم، وذلك لأنَّهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم، وإنَّما مقصودهم طلب الرِّياسَةِ والتَّقَدُّم[2].

فائدة ﴿مِنۢ﴾:

لمّا كان حرف الجرِّ ﴿مِنۢ﴾ يدلُّ على الابتداء؛ أفاد التَّعبير بقولِه: ﴿مِنۢ بَعۡدِمَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ أنَّ اختلافَهم لم يكن مستغرقًا لجميع الزَّمن الذي بعد الإيتاء، بل كان مبتدئًا في وقت مجيء العلم[3]، وهذا ممّا يزيد من التَّعجيب من أمرِهم.

دلالة استعمال الظرف ﴿بَعۡدِ﴾:

أفاد مجيء ظرف الزَّمان ﴿بَعۡدِ﴾ تقييد اختلافِهم بكونِه بدأ بعدَ ما جاءَهم العلم، وأفادت إضافة ظرف الزَّمان إلى المصدر المؤوَّل: ﴿مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ أنَّ زمن اختلافِهم المذموم مقيَّدٌ بوقتٍ معيَّن معروف هو بعد مجيء العلم إليهم.

دلالة ﴿مَا﴾:

﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ مصدريَّة، ونكتة إضافة ﴿بَعۡدِ﴾ إلى المصدر المؤوَّل دون الصَّريح - أي: لم يقل من بعد مجيء العلم إليهم - الإشعار بوقوع الفعل وتحقُّق مجيء العلم إليهم بدلالة الفعل الماضي (جاءَ)، ووفيه دلالةٌ على مجرَّد وقوع الحدث، بمعنى: أنَّه حدث الاختلاف بينهم بمجرَّد مجيء العلم إليهم من غير احتمال معنى زائد على مجيء العلمِ ومن غير قيدٍ ولا وصفٍ له

التَّعجيب من أن يكون مجرَّد حصولِ العلم سببًا في الاختلاف المذموم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 71.
(2) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 17/ 357، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 85.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 85.

آخر، ففي التَّعبير بالمصدر المؤوَّل تحصين من الإشكال وتخليص له من شوائب الإجمال[1].

بلاغة اختيار مفردة المجيء دون الإتيان:

براعـةُ التَّعبير القـرآنيّ، ففي سياق الامتنان عـبَّر بـالإتـيـان وفي سياق عدم الانتفاع بالنِّعم عبَّر بالمجيء

عبَّر في موضع الامتنان بلفظ الإتيان في قولهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾، وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾؛ لما فيه من عظمةٍ وفخامةٍ وسهولةٍ في الحصول على هذه النِّعَم، ولمّا أراد أن يبيِّن أنَّ هذه النِّعم الجليلة لم تفدهم، بل كانت سببًا لاختلافِهم؛ عدل عن التَّعبير بلفظ الإتيان إلى لفظ المجيء، فقال: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾؛ لأنَّ لفظَ المجيء يتوارد استعمالُهُ فيما كان فيه مشقَّة وصعوبة، ولو قيل: فما اختلفوا إلّا من بعد ما أتاهم العلم بغيًا بينهم؛ لأفاد أنَّه في سياق الامتنان كذلك، والحال أنَّه في معرض الذَّمِّ والتَّوبيخ والتَّعجيبِ من حالِهم.

بلاغة المجاز في إسناد العلم إلى المجيء دون الإتيان:

مـن لـم ينتفع بعلمِه كان كمن لاعلمَ له

أسند العلمَ إلى المجيء في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ على طريق المجاز العقلي، وإنَّما كان مجازًا؛ لأنَّ العلم لايوصَف بالمجيء، فالمجيء من أوصاف من له الحياة، كالآدمي، ونكتة مجيء الكلام على طريق المجاز بإسناد العلم إلى المجيء، أي: أن يكون العلم هو فاعل المجيء دون أن يقال: (من بعد ما جئناهم بالعلم) هي الإشعار بتحقُّق مجيء العلم إليهم وتمكُّنهم منه، كما أنَّه لم يقل: (من بعد ما آتيناهم العلمَ) بإسناد العلم إلى الإتيان؛ لأنَّ التَّعبير بالإتيان كان في مقام الامتنان، ولمّا كان العلم الذي حصلوا عليه كلا علمٍ لعدم انتفاعِهم منه؛ أسند الفعل إلى المجيء.

نكتةُ تعدية فعل المجيء بنفسه:

عُدّي الفعلُ (جاء) إلى المفعول به بنفسِه، فقال تعالى: ﴿جَآءَهُمُ

(1) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: 1/ 92.

﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾، ولم يقل: من بعد ما جاء إليهم العلم؛ للإشعار بأنَّ العلم وصلهم من غير كلفةٍ منهم، وأنَّه لم يتأخَّر عنهم، وأنَّهم حصلوا عليه، وتمكَّنوا منه، ففيه تقريرٌ لأنواع المنن الَّتي آتاها الله بني إسرائيلَ، وتنبيه إلى عدم انتفاعِهم من العلم.

رغم مجيء العلم إليهم، فلم ينتفعوا به

فائدة (ال) في ﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾:

(الـ) في ﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾ للعهد، بمعنى: العلم الذي حصل لهم من إتيان الكتاب والحكم والنُّبوَّة وإتيانِ الحجج الواضحات الَّتي تجعل صاحبَها على علم تامٍّ، ولمّا كانت (الـ) للعهد؛ فقد ذهب بعض المفسِّرين إلى تخصيص العلم بقراءة التَّوراةِ، وهو يجري على القول الظّاهر في أنَّ المراد بالمختلفين القوم الذين كانوا في عهد موسى عليه السلام، والمعنى: فما اختلفوا إلّا من بعدِ قراءة التَّوراة والعلم بأحكامِها، وذهب آخرون إلى أنَّ تخصيصَهُ بعهد آخر هو علمُهم بسيِّدنا محمَّد ﷺ وبنعوتِه وبتظاهر معجزاتِه، أي: إلّا من بعد ما جاءَهم العلم بصدقِ نبوَّته ﷺ، فالمرادُ بالمختلفين أعقابهم الذين كانوا في عصر النَّبيِّ ﷺ[1].

العلمُ بكتاب الله لا يستدعي الفضل إلّا إن كان معه العمل

دلالة تعلُّق ﴿بَغۡيَۢا﴾ بوقوع الاختلاف:

الظّاهر أنَّ ﴿بَغۡيَۢا﴾ مفعولٌ لأجلِه، ولمّا كان المفعول لأجلِه قيدًا للفعل ﴿ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾؛ أفادَ أنَّ اختلافَهم لم يكن عن شكٍّ، وليس عن غفلةٍ أو تأويل أو اجتهاد في طلب صوابٍ[2]؛ لأنَّه تعالى آتاهم البيِّنات الَّتي لا يقع الشَّكُّ معها، بل كان اختلافهم بسبب الظُّلم والعداوة الحسد[3]، كما أفاد التَّعبير بلفظ البغي أنَّ هذه العداوةَ كانت تعدّيًا منهم[4]، وليست عن حقٍّ، والتَّقدير: اختلفوا لأجل البغي، ويحتمل أن

العدوان والحسد والظُّلم سبب الاختلاف المذموم

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 17، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 71.
(2) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 5/ 84، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 346.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 71.
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 776.

يكونَ ﴿بَغۡيَۢا﴾ حالًا من فاعل ﴿ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾، بمعنى: أنَّهم اختلفوا في حالِ كونِ البغي بينهم؛ ليفيد أنَّ البغي كان مقترنًا باختلافِهم، أي: في وقت اختلافِهم، وعلى كلا الوجهين فإنَّ تقييد الفعل ﴿ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾ بقولِه: ﴿بَغۡيَۢا﴾ يفيد أنَّ الاختلاف المذموم هو الَّذي يكون بسبب العدوان والحسد والظُّلم، أو الَّذي يكون اختلاف النّاس فيه مقترنًا بالبغي، فإن كان الاختلاف لأجل الاجتهاد في طلب الصّواب؛ فلا ذمَّ فيه.

دلالةُ استعمال الظرف ﴿بَيۡنَهُمۡۚ﴾:

لمّا جاء الظَّرف بينهم صفةً لـ﴿بَغۡيَۢا﴾؛ أفاد تقييد البغي بكونِه موصوفًا في مكان هو بينهم، وليس في مكان آخر، فالبغي الموصوف بأنَّه بينهم هو سبب اختلافِهم، ولمّا كان البغي على البعيد مذمومًا؛ زاده عجبًا بتقييده بالوصف بأنَّه ﴿بَيۡنَهُمۡۚ﴾[1]، ففي التَّعبير بالظَّرف تقريرٌ للتَّعجيب من حالِهم بقيد الوصف مع وفور البيِّنات وظهورِها.

إن كان البغي على البعيد مذمومًا فهو بين القومِ أشدُّ ذمًّا وقبحًا

بلاغةُ الفصل في جملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾:

جاءت جملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ مستأنفةً استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّ توالي النِّعم الجليلة عليهم وتمكُّنهم في العلم يوجب كلُّ هذا ألّا يختلفوا بغيًا بينهم، فكان اختلافُهم بغيًا بينهم يثير سؤالًا في نفسِ سامعِه، تقديره: فما جزاؤهم عند ربِّهم يوم القيامة؛ فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، وهذا الجواب فيه إجمالٌ لتهويل ما سيقضى به بينهم في الخير والشَّرِّ؛ لأنَّ الخلاف يقتضي محقًّا ومبطلًا[2]، وهذه الجملة تذييل لِما تقدَّم، فتتضمَّن تأكيدًا لاختلافِهم المذموم، الَّذي يقتضي الفصل بينهم، وفيها توعُّدٌ لِمن يكون مثلَ حالِهم.

الاختلافُ في الآراء يقتضي مُحِقًّا ومبطِلًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 85.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 25/ 347.

فائدة تتابع المؤكِّدات:

تقريرُ الحكم في سياق خطاب الرَّسول المقرَّب ﷺ أقوى وأثبت

أفاد تأكيدُ مضمون الجملة بـ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسميَّة، وتكرار ذكر المسند إليه، مرَّة على أنَّه اسم إنَّ، ومرَّة على أنَّه فاعل ﴿يَقْضِي﴾ في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ هو تقرير الحكم، ولمّا كان المخاطَب هو سيِّدنا رسول الله ﷺ؛ كان المراد تقريرَ الحكمِ عند المخاطَبين؛ لأنَّه ﷺ لا يشكُّ في الأمر، وإنَّما عبَّر بضمير الخطاب العائد إلى رسول الله ﷺ؛ لأنَّه أوثق في تقرير المعنى عند المخاطَبين، فإنَّ تقريرَ الحكم في سياق خطاب الرَّسول المقرَّب ﷺ أقوى وأثبت، بمعنى: أنَّ القضاء بينهم يوم القيامة لا يقبل الشَّكَّ أبدًا.

نكتةُ اختيارِ عنوان الرُّبوبيَّة دون الألوهيَّة:

تنبيهُ المؤمنين إلى أنَّ عليهم أن ينتبهوا إلى ما حصلَ عند الأوَّلين من الضَّلال

في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ اختير عنوان الرُّبوبيَّة المضاف إلى ضمير الخطاب المقصود منه سيِّدنا محمَّد ﷺ؛ للإشعار بأنَّه تعالى لإحسانِه برسول الله ﷺ ومحبَّته له يقصُّ على النّاس أخبار الأوَّلين؛ لتنبيه المخاطَبين إلى أنَّ عليهم اليوم أن ينتبهوا إلى ما حصلَ عند الأوَّلين من الضَّلال وما سيؤاخذون به يوم القيامة، وألّا يكونوا مثلَهم، كما أنَّ في اختيار عنوان الرُّبوبيَّة إشعارًا بأنَّهم استحقّوا هذا القضاء؛ لأنَّهم لم يشكروا هذه النِّعَم.

غرضُ إضافة لفظ الرُّبوبيَّة إلى ضمير المخاطَب:

وجوبُ تجنُّب الاختلاف الذي لا يدعو إليه داعٍ في فهمِ الدّين ومصلحة الأمَّة

في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أُضيف لفظُ الرُّبوبيَّة إلى ضمير الخطاب المقصود منه سيِّدنا محمَّد ﷺ؛ لتنبيه المخاطَبين إلى أنَّ العلم الذي جاءهم من بعثة النَّبيِّ ﷺ ينبغي ألّا يكون باعثًا على الاختلاف بينهم بسبب البغي، وفي الإضافة إلى ضمير الخطابِ إيماءٌ بالوعيد لمن لم يؤمن برسولِ الله ﷺ وإلى أنَّ سببَ اختلافِهم في رسول الله ﷺ هو البغيُ والحسد بينهم، كما أنَّ في إضافة لفظ الرُّبوبيَّة إلى ضمير الخطاب فيه إيماء إلى أنَّه تعالى سيقضي بينهم يوم

القيامةِ؛ حبًّا وكرامةً لرسول الله ﷺ، وفيه تحذيرٌ لأمَّتِه ﷺ من أن يكون اختلافُهم بعد نزول القرآن بسبب البغي، وفيه تنبيهٌ كذلك إلى وجوب تجنُّب الاختلاف الذي لا يدعو إليه داعٍ في فهْمِ الدّين ومصلحة الأمَّة.

بلاغةُ استعمال مفردة القضاء لا الحكم:

في القضاء بيانُ المحقِّ من المبطل في الاختلاف

القضاءُ هو الفصلُ المحكم بين الحقِّ والباطل على سبيل القطع[1]، ولمّا كان الاختلاف من أجلِ البغي والظُّلم يقتضي اختلاط الأمر بين المختلفين وتشابك الأمور بينهما بحيث لا يُعرف المحقُّ من المبطِل؛ عبَّر بلفظ القضاء الَّذي يفيد الفصل المبين المحكم بينهم على سبيل القطع بحيث لا يعقبه مراجعة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾؛ ليكون المعنى: إنَّ ربَّك يفصل بينهم بسبب اختلافِهم بسبب البغي، فيَميزُ المحقَّ من المُبطِلِ، ويبيِّنه لهم، ويجزي كلًّا منهم على استحقاقِه، فأفاد التَّعبير بلفظ القضاء بيان المحقِّ من المبطل والجزاء على الاختلاف بسبب البغي[2].

دلالةُ استعمال الظَّرف المضاف إلى الضَّمير:

تمام الفصل بين المختلفين يوم القيامة بتبيين المحقِّ من المبطِل

لمّا كان الضَّمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يعود إلى الضَّمير في ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾ بما اتَّصف به من كونِهم اختلفوا لأجل البغي؛ دلَّ على تضمُّن اختلافهم الحقَّ والباطل، ولمّا تعلَّق فعل القضاء بالظَّرف ﴿بَيْنَهُمْ﴾؛ أفاد أنَّ فعلَ القضاء كأنَّه متخلِّل بينهم؛ لأنَّه متعلِّق بتبيين المُحِقِّ والمُبطِلِ[3]، أي: فمنهم المحقُّ، ومنهم المبطل، كما أنَّ التَّعبير بتركيب ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ يفيد إتمامَ الفصل بينهم يوم القيامة وإتمامه[4].

(1) الراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (قضى).
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 6/ 83، وأبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 8/ 129.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 11/ 283.
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (قضى).

سرُّ تكرار (بَيْنَهُم):

إقامةُ الجملة مقام جملة التَّذييل؛ لتفيد عموم الحكم بالقضاء بين المختلفين يوم القيامة

كُرِّرت كلمة (بَيْنَهُم) في قوله: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾؛ لبيان أنَّ الذين وقع الاختلاف بغيًا بينهم هم أنفسهم يقضي الله بينهم يوم القيامة، والمعنى: إنَّ ربَّك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بغيًا بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه في الدُّنيا يختلفون بعد العلم[1]، وفي تكرير الكلمة سرٌّ بلاغيٌّ لطيف، فبالتَّكرير قامت جملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مقام جملة التَّذييل لاستقلالِها بنفسِها؛ لإثبات حكمٍ عامٍّ كلّيٍّ، وهو أنَّه تعالى يقضي بين المختلفين يوم القيامة من غير تعيين لقومٍ دون آخرين؛ فتفيد الجملةُ معنى العموم والكلّيَّة، مع التَّمثيل للمخاطَبين لنوعٍ من أنواعِ القضاء يوم القيامة، وهو ما وقع من الاختلافِ بين بني إسرائيل، فيدخل اختلافُ بني إسرائيل؛ بسبب البغي بينهم في حكمِ جملة التَّذييلِ، فتكون جملة التَّذييل كالمثل في جريانِها في الكلام وفي التَّمثُّل بها.

دلالةُ تقييد قضاء الله بوقوعِه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾:

أشعر تقييدُ قضاء الله بينهم بكونِه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أنَّ هذا النَّوع من الاختلاف لا حيلةَ في إزالتِه في الدُّنيا.

نكتة تقديم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ على ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾:

تقديمُ ما هو الأولى بالاعتبار من عادات القرآن في أسلوبِه

قُدِّمَ ظرفُ المكان ﴿بَيْنَهُمْ﴾ على ظرف الزَّمان ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ للإيماء إلى سرعة القضاء بينهم يوم القيامة، كما أنَّه لمّا كان المقصود الأوَّل من إقامة القضاء هو أن يكون بين المختلفين، قُدِّمَ ما هو الأولى بالاعتبار؛ للإيماء إلى شدَّة العناية بالقضاء بينهم.

سببُ إيثار التَّعبير بـ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾:

لمّا كان يوم القيامة سُمّي بهذا الاسم لقيام النّاس جميعًا فيه لربِّ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 69.

العالمين، ولأنَّه يوم يُقام العدل فيه، ولقيام الأشهاد فيه كذلك[1]؛ عبَّر بـ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ في قولِه: ﴿يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ دون أن يقال: يقضي بينهم يوم الحساب أو يقضي بينهم يوم الجزاء؛ للإشعار بأنَّ قضاءه تعالى يظهر أمام الخلائق كلِّها، وأنَّ العدلَ يقامُ بقضائِه تعالى فيما كانوا فيه يختلفون.

يظهر العدلُ، ويُقامُ على رؤوس الأشهاد بقضاء الله بين خلقِه

فائدة (في):

أفاد حرفُ الجرِّ (في) في قولِه: ﴿فِيمَا كَانُواْ﴾ أنَّ الذي كانوا فيه يختلفون صار كالظَّرف لقضاء الله تعالى، بمعنى: استقصاء قضائِه تعالى لكلِّ أمرٍ اختلفوا فيه.

دلالة (ما):

(ما) في قوله: ﴿فِيمَا كَانُواْ﴾ اسم موصول بمعنى الَّذي، وأفاد التَّعبير بـ(ما) العموم؛ ليفيدَ استغراق قضاء الله تعالى لكلِّ الذي كانوا فيه يختلفون.

الغرض مِن ذِكر الفعل ﴿كَانُواْ﴾:

كان بالإمكان أن يوجز في اللَّفظ، فيُقال: إنَّ ربَّك يقضي بينهم فيما فيه يختلفون، والمعنى العام واضحٌ بقرينة السّياق، لكنَّه عدل إلى ذِكر الفعل ﴿كَانُواْ﴾، والسَّبب في ذِكره أمران: **أحدهما:** تقرير اختلافِ أسلافِ بني إسرائيل بسبب البغي والحسد، بمعنى: أنَّ أولئك قومٌ مضَوا بِما عملوا، وأنَّ أمرَهم إلى ربِّهم يوم القيامة، وفيه تنبيهٌ للأخلاف إلى ألّا يكونوا مثلَ أسلافِهم، **والثاني:** الإشعار باعتيادِهم هذا الاختلاف حتَّى صار كالجبلَّة لهم[2]، فالاختلاف المذكور ثابتٌ بينهم راسخٌ فيهم متكرِّر منهم.

اختلافُ بني إسرائيل بسبب البغي بينهم ثابتٌ راسخٌ فيهم

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الأنعام، ص: 65.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 85، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 597.

فائدة التَّعبير بـ(في):

عبَّر بحرف الجرِّ (فِي) الدالِّ على الظَّرفيَّة في قوله: ﴿فِيهِ﴾؛ للإشعارِ بشدَّة انغماسهم في الاختلاف المذموم حتَّى صار ظرفًا لهم يحويهم؛ ليومِئَ التَّعبير بـ(فِي) إلى شدَّة الوعيد في قضاء اللّه بينهم يوم القيامة.

غرض تقديم ﴿فِيهِ﴾ على فعل ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾:

يتعلَّق بالتَّقديم والتَّأخير أغراض متنوِّعة

قدَّم الجار والمجرور ﴿فِيهِ﴾ على الفعل ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾؛ للاهتمام والعناية بعاقبة المختلَف فيه، وللتَّخصيص بمعنى: أنَّ القضاء الذي هو على سبيل الفصل بينهم إنَّما يكون فيما اختلفوا فيه؛ بسبب البغي بعد العلم، وهذا لا يمنع من أن يقضي بينهم في مسائل أخرى، كما أنَّ في تقديم الجار والمجرور رعايةً للفاصلة ورؤوس الآي في كلمة: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾.

بلاغةُ استعمال مفردة الاختلاف في قوله: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾:

بنو إسرائيل يحرصون على الاختلاف المذموم ويجهدون فيه

عبَّر بقوله: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾؛ للإشعار بأنَّهم اختلفوا فيما ينبغي أن يكونوا على رأيٍ واحدٍ؛ بسبب حصولِهم على العلم، فالاختلاف تقابُلٌ بين رأيين فيما ينبغي انفراد الرأي فيه[1]، ولكنَّهم اختلفوا بسبب البغي بينهم، كما أنَّه لمّا كان قوله: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ بصيغة (يفتعلون)؛ أفاد أنَّهم كانوا يجهدون في هذا الاختلاف المذموم، ويتكلَّفونه، ويحرصون عليه؛ ليفيد شدَّة تخالفِهم بسبب الحسدِ والعدوان والظُّلم.

نكتةُ التَّعبير بصيغة المضارع ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾:

عبَّر بصيغة المضارع لحكاية الحالِ الماضيةِ، وللدَّلالة على الاستمرار، ففيه توبيخٌ لاختلافِهم المذموم وإشعارٌ باستمرارِهم عليه، فهُم يختلفون بسبب البغي بينهم.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 2/ 118.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"